# اللسانيات العربية

Allisaniyat Al Arabiyah

مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز الملك عبدالله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية

العدد ٦ ربيع الآخر ١٤٣٩هـ يناير ٢٠١٨م



- اللغة ونظرية الذهن: مبادئ معرفية وذهنية.

- المظهر الإبداعي للغة: مقاربة أدنوية-إدراكية.

- لسانيات المتون بين القبول والرفض قضايا إبستمولوجية ومنهجية.

- السّمات الدلالية للمتصلات و هندسة توزيعها في التركيب: دراسة مقارنة.

- الرابط بين الموضوع والمحمول في تراكيب الإسناد الاسمي والفعلي: نحو تحليل كلي وموحد.

- الشاهد النحوي بين الطبيعة والصناعة.

- مراجعة كتاب:الإطار المعياري العربي لتعليم العربية للناطقين بغيرها ( تَعْليم – تَعَلُّم – تقويم).



هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجاريا

## هيئة التحرير:

أ.د عبدالعزيز بن إبراهيم العصيلي

رئيس التحرير

د. ناصر بن عبدالله الغالي

مدير التحرير

أ.د. عبدالرّحمن بن حسن العارف

عضو هيئة التحرير

أ.د محي الدين محسب

عضو هيئة التحرير

د. محمد لطفي الزليطني

عضو هيئة التحرير

د. عبدالعزيز بن عبدالله المهيوبي

أمين المجلة

## الهيئة الاستشارية

أ.د. ابراهيم بن مراد (تونس).

أ.د. بسام بركة (لبنان).

أ.د. سعد مصلوح (مصر).

أ.د. عبدالقادر الفاسي الفهري (المغرب).

أ.د. علي القاسمي (العراق).

أ.د. محمد صلاح الدين الشريف (تونس).

أ.د. محمد غاليم (المغرب).

أ.د. محمود إسماعيل صالح (السعودية).

أ.د. محمود فهمي حجازي (مصر).

أ.د. نهاد الموسى (الأردن).

أ.د. يوسف الخليفة أبو بكر (السودان).



# اللسانيات العربية

Al Lisaniyat Al Arabiyah

مجلة علمية فصلية محكمة

ربيع الآخر ١٤٣٩هـ - يناير ٢٠١٨ م

## الإسهامات

ترسل البحوث باسم رئيس التحرير

ص.ب ٢٩٨٨ الرياض ١٨٤٥٢

المملكة العربية السعودية

هاتف ٤٧٢١٥٦٩٨ - فاكس ٤٧٥٢٣٦٩

www.kaica.org.sa

للاشتراكات السنوية

مراسلة بريد المجلة

arabiclisa@kaica.org.sa


هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

# محتويات


6

اللغة ونظرية الذهن: مبادئ معرفية وذهنية.

د. عبد العالي العامري

26

المظهر الإبداعي للغة: مقاربة أدنوية-إدراكية.

ناصر فرحان الحريّص.

60

لسانيات المتون بين القبول والرفض قضايا إبستمولوجية ومنهجية.

د.صالح بن فهد العصيمي.

99

السّمات الدلالية للمتصلات وهندسة توزيعها في التركيب: دراسة مقارنة.

د.عبد الكبير الحسني.

الرابط بين الموضوع والمحمول في تراكيب الإسناد الاسمي والفعلي: نحو تحليل كلي وموحد.

إبراهيم لحمامي.

132

الشاهد النحوي بين الطبيعة والصناعة.

رفيق بن حمودة.

منانة حمزة الصفاقسي.

158

مراجعة كتاب:الإطار المعياري العربي لتعليم العربية للناطقين بغيرها (تَعْليم – تَعَلُّم – تقويم).

د. إسلام يسري علي الحدقي.

193


هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

# المظهر الإبداعي للغة: مقاربة أدنوية - إدراكية (*)

د. ناصـر فرحان الحريّص [1]


## ملخص البحث

يعد «المظهر الإبداعي للغة» من القضايا الشائكة التي أثارتها اللسانيات التوليدية في وقت مبكر من نشأتها وجعلتها، منذئذٍ، من الركائز الأساسية لنجاح فرضياتها ودحض فرضيات أخر. تقوم فلسفة هذا المظهر على سمة الإنتاجية في اللغة التي بمقتضاها يستطيع متكلم – مستمع اللغة المثالي أن ينتج جملًا غير محدودة من وسائل محدودة، وأن يفهم جملًا جديدةً غير متناهية لم يسبق له أن سمعها من قبل. ويهدف البحث إلى تقديم مقاربة أدنوية – إدراكية لفهم طبيعة هذا المظهر تُمهد بدراسة لجذوره التاريخية عند أبرز فلاسفة القرنين السابع والثامن عشر الميلاديين. وتروم هذه المقاربة الأدنوية –الإدراكية تقديم تفسير للسمات الثلاث المميزة لهذا المظهر في أنه استعمال للغة: (أ) حر وخالٍ من المثيرات الداخلية والخارجية و(ب) متجدد وغير محدود و(جـ) ملائم لجميع المقامات. وتلك السمات، وفق هذه المقاربة، تبرهن على الطبيعة التوليدية للغة، وعلى التفاعل القائم بين نظاميها الإدراكي والإنجازي مع الأنساق المعرفية الأخرى، وكذلك، وربما هذا هو الأهم، على مدى ارتباطها بالفكر الإنساني بوصفها أداة للتفكير الحر والتعبير عن الذات، وليست مجرد وسيلة تواصل محض.


## 1. المقدمة

من أبرز النقود التي وجهتها اللسانيات التوليدية للسانيات البنيوية عجزها الظاهر، لاعتمادها على الوصف المجرد، عن اعتماد المبادئ التفسيرية للتوصل إلى

1– أستاذ اللسانيات والنحو التوليدي المشارك، جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية.



هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

دراسة الطبيعة الإدراكية للغة وارتباطها بالفكر الإنساني. ومن أبرز أمثلة هذا العجز، فشل اللسانيات البنيوية في تقديم تفسير للمظهر الإبداعي للغة الإنسانية (creative aspect of language)، الذي يلخصه تشومسكي[١] في الملاحظة التالية: إن متكلم اللغة المثالي، على الرغم من محدودية تجربته اللغوية، يمتلك مقدرة على إنتاج وفهم ما لا يحد من الجمل التي يفهمها، فورًا، أعضاءُ جماعته اللغوية حتى وإن كانت جديدة بالنسبة إليهم وله على حدٍ سواء (1964: 8). ودراسة هذا النوع من الإبداع، في نظر تشومسكي (1975: 123)، ينبغي أن نكون هدفًا أساسيًا لأي نظرية لغوية، لأنها تبرهن على وجود الإبداع الإنساني في مفهومه الواسع، وتمدنا بنموذج أكثر وضوحًا لأبعاد تطور الفكر الإنساني الذي يعدّ الإبداعُ من أعظم تجلياته وصوره، فضلًا عن الدور المركزي للمظهر الإبداعي في بناء النظامين الإدراكي والإنجازي لملكة اللغة. وتهدف هذه الدراسة إلى تقديم تفسير، من منظور توليدي، للطبيعة الإنتاجية والإدراكية للمظهر الإبداعي للغة الإنسانية، وتوضيح مدى إسهام دراستنا للغة في مظهرها الإبداعي في الحصول على فهم أشمل للطبيعة البشرية، يُنفذ من خلاله إلى سبر أغوار القدرة المعرفية التي تتجلى أبعادها في دراسة الذكاء الإنساني، وطبيعة الإدراك، والضرورة البيولوجية وإسهامها، على وجه الخصوص، في تفسير النَّسَق المعرفي للملكة اللغوية، والعلاقة بين التجربة والأفكار الفطرية.

والمتتبع للدراسات اللسانية العربية التي درست النحو التوليدي، على كثرتها، يلحظ إغفالها دراسة المظهر الإبداعي للغة. وربما يعود السبب إلى أنّ تلك الدراسات كان همها التركيز على بعد النظرية التطبيقي وحسب، أي على دراسة نماذج تصلح للتطبيق على نحو اللغة العربية[٢]. وقد أدى ذلك إلى ندرة الأعمال اللسانية العربية التي تعنى بعمق النظرية الفلسفي المعرفي الذي، كما سنرى، ينصب جلّ اهتمامه على دراسة القدرة المعرفية وكشف آلية اشتغال الذهن البشري في إنتاجها وإدراكها. وفي سبيل تعزيز تعميق الاهتمام بهذا الاتجاه، يناقش هذا البحث فلسفة النظرية التوليدية حول المظهر الإبداعي للغة الإنسانية، جاعلًا من آخر نظرياتها إطارًا منهجيًا له، أعني نظرية البرنامج الأدنوي Minimalist Program التي رأت النور بداية تسعينيات القرن الماضي. ويعود سبب هذا الاختيار، لما يمتاز به هذا البرنامج من


هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

مبادئ قوامها الاقتصاد والاكتفاء بالأدنى الضروري من الاشتقاقات، وذلك باعتماد استنتاجات صورية قائمة على عدد محدود من الفرضيات القادرة على تغطية أكبر قدر من المعطيات والوقائع. وهو ما يمكن ملاحظته عمليًا في تفسيرها للمظهر الإبداعي للغة كما سنرى في ثنايا البحث. وفي سبيل تقديم تفسير للمظهر الإبداعي للغة في جانبه الإدراكي، يستعين البحث ببعض أفكار اللسانيات الإدراكية Linguistics Cognitive التي تتبنى فرضيات النحو التوليدي بشكل عام، والبرنامج الأدنوي بشكل خاص، على نحو ما نجد عند فودور 1983 (Fodor)، وبنكر (Pinker 1994)، وجاكندوف (Jackendoff 1997، 2002)، وماكجلفيري (McGilvray 2001، 2002، 2005).

ولكي يحقق البحث أهدافه، فقد قُسِّم، بعد مقدمته، إلى مباحث أربعة رئيسة. يفتتح أولها المبحثُ الثاني الذي يُعَرِّف – بإيجاز – بالطابع العام للنحو التوليدي في نزعته العقلانية في دراسة طبيعة المعرفة. وليُمهد لفهم أبعاد وفلسفة المظهر الإبداعي للغة، يتناول المبحث الثالث الخلفية الفلسفية التي كانت وراء تبني النحو التوليدي هذا المظهر بوصفه ركيزة من ركائز النظرية الأساسية. ويُخصص المبحث الرابع للمعالجة التوليدية للمظهر الإبداعي للغة منذ ظهوره المبكر مع بداية النظرية حتى تقديم وصف وتفسير له في آخر نظرياتها: نظرية البرنامج الأدنوي التي يتبناها البحث، كما أشير أعلاه، إطارًا منهجيًا له. وأخيرًا، تأتي الخاتمة ، في المبحث الخامس، لتلخص أفكار البحث وأهم نتائجه.

## 2. النزعة العقلانية المعرفية للنحو التوليدي

كانت النزعة العقلانية في البحث عن أساسٍ معرفي، وما زالت، هي السمةُ الغالبةُ على أدبيات النحو التوليدي وعلى فكر مؤسسه نعوم تشومسكي. كان ذلك واضحًا أتم الوضوح في محاولة توظيف المقولات الفلسفية لأفلاطون ولأرباب الفكر الفلسفي العقلاني الأوروبي الحديث. فمن خلال توظيف ما يعرف في الفكر الفلسفي بـ(مُشْكل أفلاطون)[٣]، خَلَص تشومسكي (1975: 14) إلى أن المعرفة فطرية، أي أن أساس المعرفة السابق على الوجود ضرورة قبلية للتعلم. ومن هنا، فإنه يمكن لنا أن نتخيل بموجب فرضية ماورائية قوية بأن الفكر الإنساني مكون


هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

بطريقة يستطيع معها الوصول إلى نظام واسع من المعارف. وبالإفادة من الفكر الفلسفي في القرنين السابع والثامن عشر الميلاديين، خرج تشومسكي بأفكار شكلت أسس نظريته اللغوية وفرضياتها، وجعلتْ منها نقطة تحول في مسار الدرس اللساني حتى يومنا هذا. ففرضية فطرية اللغة Language Instinct، التي أوحى إليها ابتداءً مشكل أفلاطون، زادها تشومسكي (1966/ 2002)[٤] عمقًا بتبنيه أفكار الفيلسوف الفرنسي رنيه ديكارت (René Descartes 1596–1650) الذي كان يرى أن الإنسان يختلف عن الحيوان في أن له عقلاً، وأن أهم خصائص هذا العقل إنتاج اللغة. وفي عدِّ اللغة وسيلة إبداع وخَلْق لغوي بواسطتها يستطيع المتكلم أن يولد ما لا حصر له من الجمل انطلاقًا من قواعد محدودة، تأثر تشومسكي بديكارت نفسه وحامل فكره جيرو دي كوردموي (Géraud de Cordemoy 1626–1684)م، وكذلك بالعالم الألماني ولهام فان همبولدت (W. Van Humboldt 1767–1835) م كما سيأتي توضيحه بشكل مفصل. وقد قادت فرضية فطرية اللغة تشومسكي (1975: 29) إلى أن يطرح فرضية أخرى شكلت علامة فارقة للنحو التوليدي، أعني فرضية (النحو الكلي)[٥] Universal Grammar التي ترى أن الملكة اللغوية تتضمن، بيولوجيًا، ذلك التنظيم المؤلف من مبادئ وشروط تكوّن عناصر أو خصائص كل لغات العالم. وفرضية "النحو الكلي" تأثرت هي الأخرى بالفكر الفلسفي العقلاني لما يعرف في تاريخ الدراسات اللسانية الحديثة بـــمدرسة "نحو بورت رويال" Port-Royal Grammar التي أفصحت عن مفاهيمها في كتاب: «النحو العام والعقلي» General and Rational Grammar الذي ألفه سنة 1660م كل من أنطوان أرنولد An-toine Arnauld و كلود لانسلو Claude Lancelot.

وبفضل هذه النظرة الفلسفية المعرفية، حولت دراسة النحو التوليدي مركز الاهتمام من الاعتماد على السلوك الفعلي[٦] في فهم طبيعة اللغة إلى «دراسة نظام المعرفة التي تكمن وراء استخدام وفهم اللغة. وبصورة أكثر عمقًا حولت هذه الدراسة مركز الاهتمام إلى الموهبة الفطرية التي تجعل من الممكن للبشر أن يحصِّلوا مثل هذه المعرفة. وكان التحول في الاهتمام تحولًا من دراسة اللغة المجسدة إلى دراسة اللغة المبنية داخليًا، من دراسة اللغة التي تعد موضوعًا مجسدًا إلى دراسة نظام معرفة اللغة


هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

المحصلة والممثلة داخليًا في العقل/ الدماغ» (تشومسكي 1993: 83، تر: م. فتيح).

## 3. المظهر الإبداعي للغة في السياق التاريخي

تمتد الجذور التاريخية للنقاشات الفلسفية حول المظهر الإبداعي للغة من القرن السابع عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر في ملاحظات ديكارت كوردموي و هامبولدت وآخرين، غيرَ أنَّ تشومسكي (1972: 8) يرجع أول نقاش حول المظهر الإبداعي للغة إلى عالم وفيلسوف القرن السادس عشر الطبيب الإسباني خوان هيوارت (Juan Huarte 1529 – 1588) الذي ميّز بين ثلاثة أنواع من الذكاء. (أ) ذكاء الحيوان، ذلك الذكاء الطبيعي الذي هو في الأساس انعكاس وردة فعل. (ب) الذكاء البشري الذي ينطوي على الاستخدام العادي للغة، ثم أخيرًا (جـ) الذكاء الذي ينطوي على الخيال والإبداع الفني الذي هو مسحة من الجنون في مصطلحات أفلاطون. ويعتقد تشومسكي (2002: 108) أن ديكارت ربما كان على معرفة بتقسيم هيوارت للذكاء وخاصة الذكاء اللغوي.

كان القاسم المشترك بين ملاحظات ديكارت وكوردموي وهامبولدت يتلخص، كما سنرى، في أن اللغة البشرية خالية من السيطرة التحفيزية وليست وظيفتها تواصلية فقط، بل هي أداة للتعبير الحر عن الفكر والذات والاستجابة الملائمة للحالات الجديدة. فيما يلي، عرض لتلك الملاحظات التي كانت الأساس لفلسفة تشومسكي ونظريته التوليدية حول المظهر الإبداعي للغة الإنسانية.

### 3-1.مشكل ديكارت

يعد ديكارت أبرز فلاسفة القرن السابع عشر توضيحًا ونقاشًا لطبيعة المظهر الإبداعي للغة حتى إنَّ تشومسكي سمى نقاشه حول هذا الأمر بـ«مشكل ديكارت» على غرار «مشكل أفلاطون» حول فطرية المعرفة الذي أشرنا إليه آنفًا. وفي تأكيد ريادة ديكارت وسبقه في إشارته اللافتة إلى هذا المظهر، يقول تشومسكي في كتابه (اللسانيات الديكارتية): «إنّ إحدى المساهمات الأساسية للسانيات الديكارتية تكمن في ملاحظة أن اللغة البشرية في استعمالها الطبيعي لا تخضع لسيطرة المحفزات الخارجية التي يمكن التعرف عليها بشكل مستقل أو حتى للحالات الداخلية، فاللغة،


هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

لا يقتصر دورها على الوظيفة التواصلية مقارنة بلغة الحيوانات. إنّ اللغة البشرية هي أداة للتفكير الحر والتعبير عن الذات» (2002: 67). ولطالما أكّد ديكارت على أهمية التفكير المجرد عند الإنسان بواسطة العقل؛ لكونه آلة عامة يمكن استخدامها متى احتيج إليها، وبفضل هذا العقل يمكن للإنسان أن يتصرف حيث تعجز كائنات أخرى عن القيام بذلك. ومن هنا، يرى ديكارت (1637/ 1968: 186، تر: محمود م. الخضيري) أن الإنسان يختلف عن الحيوان في أن له عقلاً، وأن أهم خصائص هذا العقل هو إنتاج اللغة التي يتمايز بها الإنسان عن غيره من المخلوقات الأخرى.

ويبني ديكارت فلسفته حول المظهر الإبداعي في استعمال اللغة على فرضيتين أساسيتين. الأولى أن اللغة أداة للتعبير عن الفكر، والثانية أن اللغة لا يمكن تفسيرها ميكانيكيا (أي آليًا، كما نفسر أنواع السلوك الأخرى عند المخلوقات بما فيها الإنسان)[٧]. وإذا كانت اللغة أداة للتعبير عن الفكر الذي هو بطبيعته متجدد وخلاق، فإنها لا بد أن تشاركه في هذه الخاصية الإبداعية. وفي نفي التفسير الآلي عن اللغة، يستدل ديكارت بالطريقة الروتينية التي ينتج بها البشر مجموعة من الجمل التي تعطي «إجابة ذات مغزى ملائم» عن أي نوع من الأسئلة المطروحة عليهم. فنحن عندما نكرر طرح سؤال على شخص معين في ظروف وحالات مختلفة، نتلقى كمًا كبيرًا من الإجابات بتعابير مختلفة، لكنها جميعها ملائمة عادة للإجابة على ذلك السؤال. الأمر الذي يتعذر تفسيره آليًا في نظر ديكارت؛ مما يوجب رده إلى مبدأ مختلفٍ وهو الجانب الإبداعي في استعمال اللغة (ينظر المرجع السابق، ص 185 وما بعدها، وتشومسكي 2002: 51). وهذا في نظر ديكارت هو حجة قوية؛ لإثبات أن الجنس البشري يختلف اختلافًا جذريًا عن بقية المخلوقات الأخرى التي هي بمثابة آلات «حين تُنظَّم مكوناتُها في صورة معينة وتوضع تحت ظروف خارجية معينة، فإن ما ستقوم به سيكون أمرًا محدَّدًا (أو قد يكون اعتباطيًّا). أما أفراد النوع البشري، فعلى النقيض من ذلك؛ فهم إن يوضعوا في هذه الظروف لا (يجبَرون) على سلوك بعينه، بل هم (يُحثّون ويوجَّهون)، فقط، لكي يتصرفوا بتلك الصورة المحدَّدة [...]، فتَصرُّفهم قد يكون متوقعًا، وهو ما يعني أنهم ربما يختارون القيام بالعمل الذي وجِّهوا وحُثّوا على القيام به، لكنهم مع ذلك أحرار بشكل فريد، مما يجعلهم غيرَ ملزَمين بعمل ما وجهوا وحثوا على عمله" (تشومسكي 1990: 18–19 تر: ح. المزيني).


هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو ماذا يعني المظهر الإبداعي في استعمال اللغة عند ديكارت؟ إنه يعني، كما يرى داس جوبتا (Das Gupta 1999: 131)، أن استعمال اللغة غير متناهٍ، لأن الفكر الذي هي أداة له، بطبعه غير محدود؛ فلا حدود للفكر كما هو معروف. يضاف إلى ذلك، أن اللغة، مثلها مثل الفكر، مستقلة في طبيعتها التكوينية عن المؤثرات الخارجية والحالات الفيزيائية الداخلية. ومن هنا، تصبح العلاقة بين الفكر واللغة في مظهرها الإبداعي انعكاسية فكلاهما حر من المثيرات الخارجية stimulus-free وغير متناهٍ في الاستعمال unbounded in use.

وبناء على سبق، يمكن تلخيص فلسفة ديكارت حول المظهر الإبداعي في استعمال اللغة في النقاط الآتية (ينظر تشومسكي 1990: 17–18، تر: ح. المزيني، 2002: 51 وما بعدها):

أ. الاستعمال السَّوي للغة استعمالٌ مبدِع على الدوام وغير متناه؛

ب. حُرٌّ من تحكم المثيرات الخارجية والحالات الداخلية؛

جـ. منسجمٌ وملائم للمقامات التي يستخدم فيها؛

د. يثير لدى المستمع الأفكارَ التي يمكن له أن يعبِّر عنها في المقامات المماثلة بالطريقة نفسها؛

هـ. ينتج أشكالاً لغوية جديدة ومبتكرة لا حدود لها، ليس في كلام المتكلم فحسب، بل ربما في تاريخ اللغة.

### 2-3. ملاحظات كوردموي

يذهب كوردموي (8661/2791: 7)، أحد الفلاسفة الديكارتيين في القرن السابع عشر الميلادي، إلى أن تنوع السلوك البشري ومدى ملاءمته للظروف الجديدة يمكن تفسيره ميكانيكيًا من خلال افتراض أن البشر آلات معقدة فقط، ولكن القدرة الإبداعية للبشر وفي مقدمتها الاستعمال الخلاق والمتجدد والمتسق للكلام العادي إنتاجًا وفهمًا يتعذر تفسيرها كذلك. وفي هذا الصدد، يرى أن القدرة على الابتكار والقيام بذلك بطريقة ملائمة للحالات المتجددة عبر خطاب لغوي متماسك ما هو إلا برهان قوي على أن الكلام هو ذلك المظهر الإبداعي الخلاق. بل، إنه يذهب أبعد من ذلك عندما يلفتُ النظر إلى أن المقدرة على الكلام ليست الميزة البشرية الوحيدة


هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

التي تميز الإنسان عن بقية المخلوقات الأخرى، بل إن ما يميزه، فعلًا، هو القدرة على الابتكار والاستعمال المتجدد للغة (نقلًا عن وَيد Wade 5991: 41). هذا الاستعمال المتجدد للغة، في نظر كورمودي، لا يتم عبر ترديد نفس الكلمات التي نسمعها، بل عبر إنتاج كلمات مختلفة تحمل المغزى نفسه (8661/ 2791: 91). وهنا نلحظ أن كورمودي، كديكارت، في النظر إلى أن اللغة البشرية حُرة وخالية من المثيرات الخارجية والحالات الفيزيائية الداخلية؛ لكونها خاصية طبيعية من خصائص الفكر الإنساني. وإذا كانت كذلك، فما هي إلا أداة للفكر والتعبير الحر والاستجابة الملائمة للظروف المتجددة، وليست مجرد وسيلة تواصل محض[٨].

### 3-3. هامبولدت والقدرة التوليدية الإبداعية للغة

يرى الفيلسوف الألماني هامبولدت (1836/ 1999: 43–44، 103، وانظر تشومسكي 1992: 13–14، تر: و. السراقبي) أن القوة العقلية mental power التي تمدنا بملكة الكلام تفترض وجود نظام من القواعد التوليدية erzeugen ينظم عمل الملكة اللغوية ويشكل أرضية التعبير عنها. هذا النظام نظامٌ توليدي؛ لأنه ببساطة يبدع استعمالات غير محدودة من وسائل محدودة. وعلى هذا الأساس، تصبح اللغة عند هامبولدت بنية من الصيغ والمفاهيم المرتكزة على نظام من القواعد التي تحكم العلاقات المتبادلة فيما بينها وتحكم انسجامها وتنظيماتها، غير أن بوسع هذه المعطيات المحدودة أن تتضام لتخلق نتاجًا لا ينضب. ومن هنا، يصبح الاستخدام العادي للغة إبداعًا لا شعوريًا ينشأ من فعلنا اللغوي دون أن تكون لدينا أي فكرة عن (المقياس) أو (التعميم) الذي يفسر لنا هذا الشكل الإبداعي للاستعمال اللغوي. إن محاولة تبسيط هذه العملية الإبداعية وعدها بنية عادية أو شبكة من الشبكات المتزامنة ليس من العلمية في شيء في نظر هامبولدت؛ إذ الإبداع في الاستخدام العادي للغة يتخطى الحدود والقواعد الهامشية من قياس وتعميم وغيرهما. ويمكن تخليص فكرة هامبولدت حول إبداعية الاستعمال اللغوي في جانبين:

(أ) إنتاج جمل غير محدودة من وسائل محدودة[٩]؛
(ب) اللغة كما يكتسبها متكلمها المثالي هي نشاط إبداعي توليدي فطري متجدد.


هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

والمظهر الإبداعي لدى هامبلدت لا يقتصر على الاستعمال العادي للغة، بل يتعداه إلى عملية اكتساب اللغة عند الأطفال التي، هي عنده، إبداع وليست مجرد تعلم. وهذا الإبداع مرده إلى أن الأطفال يولدون وهو مزودون بهذه المقدرة الإبداعية الفطرية. وفي هذا الصدد يقول: «تعلم الأطفال للغة لا يتم عبر معرفة مجموعة من الكلمات وتخزينها في الذاكرة ونقطها عبر الشفتين، بل بنمو الملكة اللغوية عبر مرور العمر وامتداد التجربة» (1836/ 1999: 58).

ويعد تشومسكي أفكار هامبلدت محورية في تاريخ الدرس اللساني؛ فمن تلك الأفكار استقى تشومسكي الفكرة السابقة حول اكتساب اللغة عند الأطفال، واستعار مصطلح (التوليد)[١٠] الذي أصبح علمًا على نظريته؛ لأنه يشير إلى أن القدرة اللغوية ما هي إلا نظام من العمليات التوليدية الفطرية التي هي جزء من نظام معرفي أعم قد تبلور مسبقًا كاستعداد للعقل، وأن وظيفة التجربة هي أن تجعل هذا النظام اللغوي التوليدي بطبعه مدركًا وأكثر تمييزًا (ينظر تشومسكي 1965: 4، 2002: 62).

ألهمت هذه الأفكار الفلسفية تشومسكي، كما سيأتي، لأن يفترض أنّ لدى الإنسان مقدرة نوعية خاصة ومتفردة في تنظيمها الفكري الذي لا يمكن أن يعزى إلى الذكاء العام، بل إلى ما يمكن أن يسمى بالمظهر الإبداعي للاستعمال العادي للغة الذي تكمن خاصيته في عدم محدوديته في المدى وخلوه من أي مثير. فيما تبقى من البحث، نقاش مفصل لرؤية تشومسكي حول المظهر الإبداعي للغة منذ ظهورها في البدايات الأولى لنظريته أوائل ستينيات القرن الماضي، وانتهاء بتقديم مقاربة أدنوية–إدراكية تفسر سمات هذا المظهر ودروه في آلية اشتغال نظامي الملكة اللغوية: الإدراكي والإنجازي.

## 4. الفلسفة التشومسكية للمظهر الإبداعي للغة

### 4-1. البدايات الأولى

يعد المظهر الإبداعي للغة من القضايا الشائكة، التي أثارتها النظرية التوليدية في وقت مبكر من نشأتها. فمنذ ظهوره للمرة الأولى عند تشومسكي في الفصل الذي كتبه بعنوان: (القضايا الراهنة في النظرية اللغوية) ضمن الكتاب الذي حرره فودور و كاتز تحت عنوان: «بناء اللغة» وصدر سنة 1964م– كان واضحًا أنَّ تحديد سمات


هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

هذا المظهر وبيان دوره يعد عند تشومسكي ركيزة أساسية من ركائز النظرية اللسانية وهدفًا من أهدافها، وبه يقاس مدى نجاحها من عدمه. لقد كان ذلك واضحًا أتم الوضوح في بداية المبحث الأول من ذلك الفصل: (أهداف النظرية اللغوية):

إنّ الحقيقة المركزية التي يجب أن تعنى بها أي نظرية لغوية ذات قيمة، هي أن متكلم اللغة المثالي باستطاعته، في ظروف ملاءمة إنتاج جمل جديدة في لغته. وفي المقابل، يمكن للمستمعين فهمها على الفور، على الرغم من أنها جديدة، على حد سواء، بالنسبة له ولهم. معظم تجربتنا اللغوية، سواء أكنا متكلمين أم مستمعين، هو مع جمل جديدة؛ وبمجرد أن نتقن اللغة، فإن فئة الجمل التي يمكننا أن نتعامل معها بطلاقة ودون صعوبة أو تردد كثيرةٌ جدًا بحيث يمكن لجميع الأغراض العملية (وبالطبع، النظرية أيضًا) أن نعتبرها لا نهائية. إن التمكن الطبيعي من اللغة لا يعني فقط القدرة على فهم عدد غير متناهٍ من الجمل الجديدة كليةً، بل يعني، أيضًا، القدرة على تحديد الجمل الشاذة، وفي بعض الأحيان إيجاد تفسير لها [...]. ومن الواضح أن نظرية اللغة التي تتجاهل هذا المظهر "الإبداعي" هي نظرية بلا جدوى (تشومسكي 1964: 50–51).، ونص تشومسكي السابق يربط، بشكل أساسي، هذا المظهر الإبداعي للغة بنظام المقدرة للملكة اللغوية Language Faculty الذي يتيح لها أن تنتج، بواسطته، جملًا غير متناهية، وأن يُفهم أيضًا بموجبه الجمل التي ينتجها الآخرون. بل إنه يتيح للملكة اللغوية تحديد الجمل اللاحنة وإيجاد تفسير لها. إن المظهر الإبداعي للغة، بإيجاز، وكما أكد تشومسكي مرارًا، يعكس وبشكل ملحوظ الإمكانيات اللامحدودة للفكر في كونه ينتج من وسائل متناهية جملًا وتعابير غير متناهية تقيدها، فقط، قواعد بناء المفاهيم والجمل. إنه يتيح لمتكلم اللغة أن يعبر بصورة غير متناهية عن أفكار متعددة، وأن يتفاعل بصورة ملائمة في عدد غير متناهٍ من المواقف الجديدة (ينظر تشومسكي 2002: 71). وتشومسكي عندما يتكلم عن آلية محددة (متناهية)، ولكنها في الوقت نفسه، قادرة على إنتاج عدد غير متناه من الجمل– فهو يحلل في حقل اللغة كيف أن العقل الإنساني على محدوديته قادرٌ على القيام بأنشطة، هي في الحق، غير متناهية (زكريا 1986: 29).

وفي سبيل تقديم تفسير لآلية تفاعل المظهر الإبداعي للغة مع النظم اللغوية الأخرى في الذهن، نجد تشومسكي يقر، ابتداءً بصعوبة ذلك؛ لأن هذا المظهر، في نظره، يعد من الألغاز التي يصعب كشف كنهها عند دراستنا للغة البشرية


هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

(تشومسكي 1975: 137)[11]؛ لارتباطه بصفة أساسية بعدة نظم ومظاهر لغوية من أبرزها النحو الكلي Universal Grammar والكفاية اللغوية Linguistic Competence والأداء الكلامي Performance. ومن هنا، نجده، منذ وقت مبكر، وفي سبيل فهم أبعاد هذا المظهر يحدد العلاقة بين توليد القواعد النحوية والقدرة اللغوية لمتكلم اللغة من جهة، ويفرق بين المقدرة اللغوية والأداء الكلامي من جهة أخرى. وفي تحديد هذه العلاقة، وبيان ذلك الفرق، نجده يفترض أنّ كل إنسان عادي، على الرغم من محدودية خبرته مع المعطيات اللغوية لعملية الكلام، لديه مقدرة لغوية فطرية كاملة لنظام لغته الأم. ويمكن تمثيل هذه المقدرة عبر نظام من القوانين الخاصة بنحو لغته. وهذه المقدرة اللغوية الفطرية التي يمدنا بها النحو ينبغي عند وصفها أن تُميز عن الأداء الكلامي؛ لأن الأخير يخضع لعوامل كثيرة ومتباينة لا يشكل النحو إلا واحدة منها (1964: 51–52). وهنا، يتضح أن تشومسكي يرجع القدرة الإبداعية لمتكلم اللغة المثالي إلى تمكنه من النظام النحوي للغته. ذلك النظام ليس النحو المعياري بمفهومه التعليمي التقليدي، ولكنه تلك المعرفة الضمنية بقواعد اللغة التي تتميز بخاصية الخلق والإبداع وتتفاعل فيها المكونات الصوتية والدلالية في سبيل إنتاج ما لا يحد من الجمل وفهمه، حتى وإنْ كانت جديدة لم تُسمع من قبل. وعلى أساس هذا التفاعل بين النحو والمظهر الإبداعي للغة، أصبح تعريف المقدرة اللغوية في مؤلفات تشومسكي اللاحقة (ينظر على سبيل المثال 1967: 106) تلك المعرفة الضمنية بقواعد اللغة التي يكتسبها المتكلم المثالي بوصفها مكونًا أساسيًا من مكونات النحو الكلي[12].

وفي المقابل، يُعرّف الأداء الكلامي بأنه الاستعمال الفعلي للمقدرة اللغوية؛ وذلك لأنه في الأداء يعود متكلم اللغة بصورة طبيعية إلى القواعد الكامنة ضمن مقدرته اللغوية، كلما استعمل اللغة هدفًا للتواصل في المواقف المختلفة (المرجع السابق، ص 126). والأداء؛ لأنه يمثل اللغة المجسدة لا اللغة المبنية داخليًا، لا يفسر لنا كنه المظهر الإبداعي في استعمال اللغة؛ على عكس المقدرة اللغوية التي تشكل أرضية هذا الإبداع والحاضنة للنظام التوليدي الذي يبدع استعمالات غير محدودة من معطيات محدودة[13].

مما سبق، يتضح لنا أن تشومسكي يجعل المظهر الإبداعي للغة مكونًا أصيلًا من مكونات المقدرة اللغوية؛ لأن أبرز خصائصها الفطرية هي خاصية الخلق والإبداع. وفي سبيل التركيز على فطرية هذا المظهر، يفرق تشومسكي (2002: 68–69) بين نوعين


هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

من أنواع الإبداع اللغوي: (أ) الإبداع اللغوي المقنن Rule-Governed Creativity و(ب) الإبداع الخارق للقواعد Rule-Changing Creativity. ويجعل تشومسكي المظهر الإبداعي في استعمال اللغة من الأول؛ لأنه إبداع تحكمه قواعد النحو، ويتعلق بإمكانية إنتاج وتوليد ما لا حصر له من الجمل النحوية في ضوء تحقيق شرطي المقدرة اللغوية، وهما: (أ) مفهوم السلامة النحوية Grammaticality (أي، سلامة الجملة وفقًا لقواعد اللغة النحوية في لغة ما)، و(ب) المقبولية Acceptability (أي، مناسبة الجملة دلاليًا وفقًا لمدلولات لغة ما). يتحقق هذان الشرطان عبر ما سماه تشومسكي بـ"الحدس اللغوي" Intuition الذي به يؤلف متكلم اللغة مجموعة من القوانين التي بها يستطيع الحكم بصحة الجمل النحوية من عدمها (تشومسكي 1965: 4، 8). وأما النوع الثاني، في المقابل، فيعني تشومسكي به الإبداعَ الخلاق الذي لا علاقة له بمقدرة الفرد اللغوية كالأول، وإنما يتعلق بالمقدرة اللغوية المشتركة بين أبناء اللغة الواحدة. وبمعنى أدق، وكما وضحه غلفان (2010: 42)، هو ذلك التغيير المبدع الخارق في بنية القواعد النحوية التي تتضمنها القدرة اللغوية المشتركة بين أفراد جماعة لغوية. هذا التغيير المستحدث يلقى غالبًا استغرابًا في بداية الأمر، وهذا الاستغراب قد ينتهي به إلى النبذ فلا يتلفت إليه، وقد يعد هذا التغيير من قبيل التطور المقبول. ويصبح الحسم في نهاية الأمر للمجتمع اللغوي ومدى قدرته على التجاوب مع ذلك التغيير في القواعد. فالاستعمال الجمعي المكثف لهذه التغيير في بنية القواعد النحوية، قد يحوله إلى واقع لغوي، وبالتالي يتحول هذا التغيير الذي كان يعد خطأً لغويًا في فترة ما أو تجاوزًا لمعايير النحو المعياري قواعدَ ثابتةً ومألوفةً. هذا الإبداع الخارق للقواعد ليس مكونًا من المكونات الفطرية للمقدرة اللغوية؛ لأن النحو فيه لا يطابق فطريًا المقدرة اللغوية عند متكلم اللغة المثالي؛ لفقده شرطًا أساسيًا هو شرط (التكرارية) Recursion الذي يتيح لعنصر لغوي ما، أو لمقولة محددة، أو لقاعدة نحوية بالظهور أو بإعادة الاستعمال في أنسقة مختلفة وبشكل غير محدود Infinitive. وهذا النوع على خلاف النوع الأول من الإبداع اللغوي المتمثل في المظهر الإبداعي في الاستعمال العادي للغة الذي يتجلى "في القدرة الخاصة على التعبير عن أفكار متجددة، وعلى تفهم تعابير فكرية أيضًا متجددة" (تشومسكي 1972: 19)، وعلى « التعبير عن أفكار غير محدودة للتصرف بشكل مناسب في مواقف غير محدودة المدى» (تشومسكي 1965: 6). وفي ظل هذا


هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

التصور للإبداع اللغوي، "يمكن اعتبار اللغة نِتاجًا وفِعْلَ صُنْعٍ في آن معًا وعملًا عقليًا يتجدد باستمرار" (زكريا 1986: 31).

ويتضح، مما سبق، أن تشومسكي يتفق وديكارت في أن لدى الإنسان قدرة نوعية محددة، وهي نوع فريد من الذكاء المنظم الذي لا يمكن أن يعزى إلى أثر البيئة المحيطة، أو إلى أي نوع من الذكاء العام. إنه يتجلى، عنده، فيما يسمى بالمظهر الإبداعي في الاستعمال العادي للغة. تكمن خاصية هذا المظهر، كما أسلفنا، في عدم نطاق محدوديته، وخلوه من أي مثيرات خارجية أو داخلية. كما أن من خصائص هذا المظهر إثباته تماسك اللغة وملاءمتها لظروف التكلم. فالخطاب اللغوي في استعماله العادي ليس سلسلة من الجمل العشوائية، بل هي ملائمة للمقام الذي قيلت فيه من غير أن يكون هذا المقام سببًا لوجودها. وهذا يدلل على تحرر اللغة من سيطرة المثيرات؛ لأنها إن وجدت، فتعزى إلى الآلية المسيرة، في حين ترتد الملاءمة، في تنوعها الإنساني، إلى خارج إطار التفسير الآلي. وانتفاءُ سيطرة المثيرات على الاستعمال اللغوي، وملاءمته للاستجابة للمقامات الجديدة، جعلت من ديكارت، في نظر تشومسكي، مؤسسًا لفكرة أن اللغة أداة للتعبير الحر عن الذات وعن الفكر. وحول ذلك يقول مؤكدًا في كتابه اللغة والعقل (1972: 27): «... فاستعمال اللغة العادي ليس فقط تجديدًا ومداه الضمني غير متناه، بل هو أيضًا متحرر من جميع المثيرات سواءً أكانت خارجية أم داخلية. وبفضل هذا التحرر من ضوابط المثيرات يمكن استعمال اللغة كوسيلة تفكير وتعبير ذاتيين».

### 2-4. المظهر الإبداعي للغة من الوصف إلى التفسير

من أبرز النقود التي وجهت لرؤية تشومسكي حول طبيعة المظهر الإبداعي للغة أنها، في واقع الأمر، لم تقدم لنا تعريفًا لهذا المظهر بوصفه مكونًا من مكونات اللغة، وأفضل صياغة لتوضيح معالم هذا المظهر قدمه لنا تشومسكي هي، فقط، المقدرة على إنتاج جمل جديدة في اللغة وفهمها. وهذا، من الناحية العلمية، لا يكفي لأنه مجرد وصف لمظهر اللغة الإبداعي، ولا يرقى إلى تقديم تعريف وتفسير له (ينظر في ذلك دراش Drach 1981، وتَيلر Taylor 1993). يضاف إلى ذلك، أنه يتعارض مع مبادئ النظرية التوليدية نفسها في أن إيجاد نظرية كاملة حول اللغة، يتطلب اشتمال هذه النظرية على (الكفاية التفسيرية[١٤]


هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

explanatory adequacy)، وذلك لأن أي نظرية وصفية لا تشفع بنموذج تفسيري يقيم دقة كفايتها الوصفية هي بلا جدوى ومصيرها النبذ. وعلى الرغم من إدراك تشومسكي لهذا الأمر من خلال نقده لمشروع ديكارت الفلسفي في عجزه عن تقديم تفسير مُرْضٍ لبعض الخصائص التي تقع خارج مجال التفسير الآلي، وفي مقدمتها المظهر الإبداعي لاستعمال اللغة[١٥]- فإنه وقع في الإشكالية نفسها؛ إذ إن وصفه هذا المظهر بأنه القدرة على إنتاج جمل جديدة وفهمها- هو بلا مقدرة تفسيرية أيضًا لأنه لا يتعدى أن يكون مجرد وصف لنشاط الأداء اللغوي الذي لا تربطه أي علاقة منطقية بالمقدرة اللغوية التي هي أرضية ذلك المظهر والحاضن له كما وضِّح في المبحث السابق. من هنا، يرى منتقدو تشومسكي أن إيجاد تعريف للمظهر الإبداعي للغة من خلال نموذجه التوليدي يبدو بعيد المنال.

وللحفاظ على تماسك نظريته، كان تشومسكي مجبرًا على أن يلجأ، في النماذج الأولى منها، إلى القول بأن اللغة ليست مفتاحًا لفهم الإبداع، أو أن الإبداع نفسه يقع خارج حدود التصور الذهني؛ لأنه، حسب تصنيفه، سر وليس مشكلة. وفي نظر تشومسكي، المشاكل اللغوية يمكن الوصول إلى تفسير لها على عكس الأسرار اللغوية التي تقع خارج حدود القدرات الإدراكية للعقل (ينظر هامش 9، وينظر تشومسكي 1982). ولكن مع تقدم الأعمال في أدبيات النحو التوليدي، وظهور نظريات توليدية متعددة لتفسير طبيعة المعرفة اللغوية، قدّم لنا تشومسكي سنة 1995م مراجعة جديدة لأفكاره وآرائه حول عدد من القضايا التي نوقشت في وقت مبكر من تاريخ نظريته. وقد اختار تشومسكي لهذه المراجعة الجديدة اسم البرنامج الأدنوي وفيه يقر بأن النحو التوليدي في بدايته واجه نوعين من المشاكل المباشرة كان من الصعب الاعتراف بهما في ذلك الوقت: الأولى إيجاد منهج يعتمد لمعالجة ظاهرة اللغات الخاصة (الكفاية الوصفية)، والثانية تفسير كيف أن معرفة هذه الحقائق تتولد في ذهن المتكلم-السامع (الكفاية التفسيرية). ولئن نحج النحو التوليدي في بداياته الأولى في تقديم وصف لثراء الأنظمة التوليدية في اللغات المتنوعة-إلا أنه لم يحصل على النجاح نفسه في تقديم تفسير لآلية عمل تلك الأنظمة في الذهن. ومن بين الأمثلة التي أشار إليها تشومسكي في هذا الجانب، المظهر الإبداعي للغة في كونه استعمالا غير محدود من وسائل محدودة (1995: 3-4). ولتفسير حقيقة هذا المظهر،


هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

أعاد تشومسكي فكرته القديمة في ثوب جديد، أعني بها فكرة الاستفادة من المعالجة الاستدلالية التي تمدنا بها العلوم الطبيعية [١٦]؛ الأمر الذي يعني أن النظرية التوليدية ينبغي أن تقلل اهتمامها بالمعطيات في مقابل اهتمام متزايد بالعمق التفسيري. وهذا يتطلب تعميق البحث في العلاقة المنهجية التي يمكنها أن تجمع اللسانيات بالعلوم الطبيعية على مستوى طرق تناول الظواهر. وفي هذا السياق، نجده يولي اهتمامًا كبيرًا بمعطيات علم الفيزياء، لا سيما ما اصطلح عليه (الأسلوب الغاليلي)[١٧] الذي يعني في حقل دراسة اللغة أن اهتمام اللساني ينبغي أن يتحول من العناية بتغطية المواد والمعطيات إلى العناية بعمق التفسير وإفراز مفهوم دال للغة يصبح موضوع بحث عقلاني ينمى على أساس تجريدي. فالنجاح الكبير الذي حققته العلوم الطبيعية الحديثة يعود إلى متابعة البحث عن المبادئ التفسيرية التي تنفذ إلى عمق الظواهر على الأقل عازفة عن تناول كل الظواهر (ينظر تشومسكي 1980: 219، الفاسي الفهري 2000: 2/ 23). لقد كان لتبني هذا المنهج أثر في التقدم الهائل الذي حققه النحو التوليدي في تفسير خصائص الملكة اللغوية وفي تصميم النموذج اللساني الذي تطور على امتداد أكثر من خمسين سنة حتى تبلور في صيغة ما بات يعرف، كما أسلفنا، بالبرنامج الأدنوي، والذي انتقلت فيه النظرية من الوصف إلى التفسير، بل إلى ما وراء التفسير؛ لتتجاوز به التفسير المبني على بنية اللغة إلى البحث في تفاعل الملكة اللغوية مع الأنساق الخارجية والبحث في القيود التي تفرضها هذه الأنساق (تشومسكي 2013: مقدمة المترجم، ص 23). في المبحث الموالي مناقشةٌ لمقاربة أدنوية-إدراكية في تفسير المظهر الإبداعي للغة.

### 3-4. المقاربة الأدنوية- الإدراكية للمظهر الإبداعي للغة

تقوم فلسفة النحو التوليدي في مقاربته الأدنوية على تحقيق هدف عام ومحوري يكمن في مدى نجاح الملاءمة في التفسير والوصف والإجراء في مختلف اللغات البشرية. ولا يتم تحقيق مدى نجاح هذه الملائمة إلا من خلال، أولا، دراسة أنظمة التمثيل الذهني والحوسبي للملكة اللغوية، وثانيًا، من خلال جعل الهدف الأساسي للنحو التوليدي ليس فقط استنباط المبادئ العامة من الأنظمة المعقدة للقواعد المخترعة للغات الخاصة، بل أيضًا، استنباط القواعد البسيطة المشروطة في إجرائها لمبادئ النحو


هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

الكلي، انطلاقًا من افتراض أن اللغة نظام على غاية من الكمال perfect system ذو هندسة من أفضل ما يكون optimal design (تشومسكي 2001: 1–2). والأهم أن تحقيق مثل هذه الملاءمة يسهم في إنشاء نظريات أكثر بساطة، وأقل تعقيدًا، ويوفر الأرضية العلمية لمقاربة أدنوية. كما يسهم، بشكل فاعل، في حل الصراع القائم بين الكفاية الوصفية والكفاية التفسيرية في وصف وتفسير أنساق الأنظمة المكونة للملكة اللغوية: (أ) نسق الأنظمة الإدراكية (العرفانية) الذي يخزن المعلومات المكونة للغة الداخلية و(ب) نسق الأنظمة الإنجازية الذي يدمج هذه المعلومات ويستعملها على وجوه متنوعة (تشومسكي 1995: 2،5). وهذا يتطلب من النحو الكلي أن يبين أن مبادئه وقيوده غنية بما فيه الكفاية؛ لتكون قادرة على إقامة وصف كافٍ لتعدد اللغات وتنوعها فيما بينها وداخلها (أي، الاستجابة للكفاية الوصفية). في المقابل، ينبغي على النحو الكلي، في استجابته للكفاية التفسيرية، أن يبين أن هذا الاختلاف والتنوع بين اللغات يخفيان وراءهما تماثلاً بين اللغات يتمثل في خضوعها لمبادئ عامة مشتركة تتصف بقدر كبير من الاقتصاد والبساطة (تشومسكي 2013: مقدمة المترجم، ص 16).

يتكون النظام الإدراكي، في ضوء المقاربة الأدنوية، من مكونين هما المعجم Lex-icon والنسق الحوسبي Computation. ويتكون المعجم من كلمات اللغة مقرونة بخصائصها الفرادية التي تمكننا من دمج هذه الكلمات في النسق الحوسبي مع ما يشترك معها في الخصائص نفسها والتي لا يمكن التنبؤ بها[١٨] (ينظر تشومسكي 1995: الفصل3). في المقابل، يتكون النظام الإنجازي من النظام النطقي الإدراكي articu-latory-perceptual، الضروري للنطق، والنظام التصوري القصدي conceptu-al-intentional، الضروري لمفصلة المعنى. وهذا يقتضي اختزال مستويات التمثيل إلى مستويين وجاهيين Interface Levels، هما الصورة الصوتية Phonetic Form والصورة المنطقية Logical Form؛ وذلك لأن الضرورة التصورية conceptual ne-cessity التي يرتبط بها هذان المستويان– تقتضي هذا الاختزال[١٩]. في الرسم البياني الموالي توضيحٌ أدنوي لآلية عمل الملكة اللغوية في نظاميها الإدراكي والإنجازي:


هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

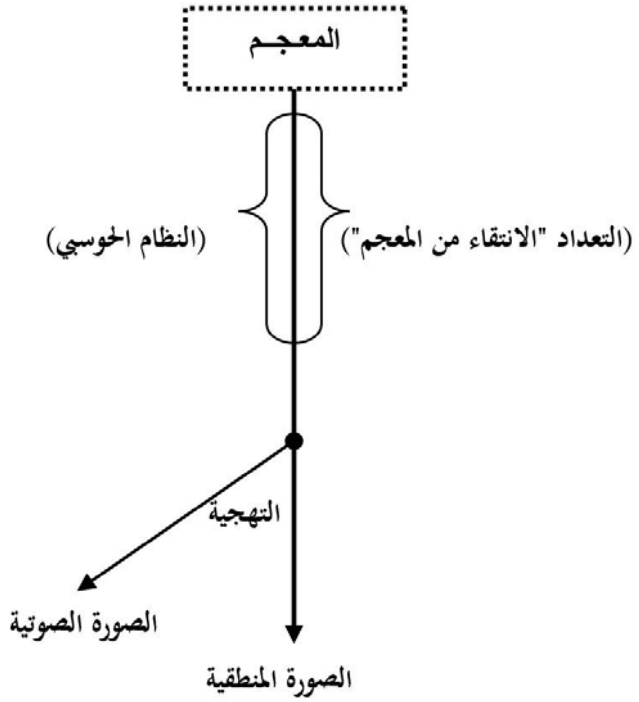


ومما سبق، يتضح لنا الدور المحوري للمعجم والنسق الحوسبي في البرنامج الأدنوي؛ إذ يخصص الأول العناصرَ التي ينتقيها الثاني الذي يقوم بدوره بدمجها في التراكيب اللغوية في ثنائية الصورة الصوتية والصورة المنطقية. يتم هذا الدمج عبر عمليات حوسبية أساسية صغرى[٢٠] تحكمها في الاشتقاق والتمثيل مبادئ الاقتصاد Economy Principles ومبدأ التأويل التام Full Interpretation الذي يقضي بأن لا يتضمن التمثيل إلا عناصر مشروعة objects legitimate حتى يتم الاشتقاق بنجاح وإلا أفضى الأمر به إلى الفشل وعدم التمام (ينظر تشومسكي 1995: 130، 219–20).

ووفق هذا التصور الأدنوي للمعرفة اللغوية، يصبح النحو نظامًا حوسبيًا، ويصبح بمقتضى ارتباطه كليًا بالمستويين الوجاهيين: الصوتي والمنطقي (الدلالي) هو الـــمُشَكِّل الرئيس للملكة اللغوية، ويكون المعجم مكونًا من مكوناته بوصفه قاعدة اشتقاقية وتمثيلية له تمده بالصوت والمعنى. وفي ضوء هذه المقاربة الأدنوية لآلية عمل اللغة في الذهن، يمكننا تفسير المظهر الإبداعي في استعمال اللغة وتحديد


هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

العوامل الكامنة وراء إنتاج وإدراك تعابير لغوية غير متناهية ومتجددة بصورة دائمة من خلال استعمال تنظيم قواعد متناهية. هذا الاستعمال الإبداعي للغة يمكن الآن تفسيره في ضوء التصور الأدنوي لتصميم ملكة اللغة، بعد أن كان متعذرًا في المقاربات التوليدية السابقة، من خلال افتراض أن النحو الكلي نظام حوسبي تدعمه القوة التوليدية الاشتقاقية للمعجم. ويهدف هذا النظام إلى تقديم وصفٍ لآلية إدخال الكلمات وسماتها المعجمية في المعالجة اللغوية الداخلية، وتفسيرٍ للكيفية التي تتضام بها تلك الكلمات لتولد تعابير وجملًا معقدة في تركيبها، ومبدعة في استعمالها الذي من أبرز سماته، كما مر بنا، أنه:

(أ) استعمال حر للغة خالٍ من أي مثير خارجي أو داخلي stimulus free؛

(ب) غير محدود unboundedness؛

(ج) ملائم للمقامات التي يستخدم فيها appropriateness to situations.

ويمكن تفسير السمة الأولى أدنويًا وإدراكيًا من خلال افتراض عدد من الافتراضات التي يأتي في مقدمتها أن النظام الحوسبي للملكة اللغوية، المشار إليه أعلاه، ينفي بطبعه الاشتقاقي عن اللغة تأثرها بأي مثير خارجي أو داخلي؛ لأن النحو، الذي هو المحرك الأساس لهذا النظام الاشتقاقي، عبارةٌ عن نظام خوارزمي يولد الجمل النحوية المقبولة (ينظر تشومسكي 1995، وجاكندوف 1997). كما يمكن التدليل على الاستعمال الحر للغة في ذهن المتكلم من خلال تبني تحليل ميجلفيري (2002: 19–20) الذي يتلخص في أن النظم التفاعلية المكونة للذهن/الدماغ، وإن كانت نوعًا ما مستقلة في ذاتها، هي ذات علاقة وجاهية interfaces تتيح لتلك النظم الاتصال فيما بينها وتبادل المعلومات بطرق متعددة. ومن تلك النظم نظام اللغة والرؤية والسمع وغيرها. وعندما يكون الدماغ مكونًا ومبنيًا بهذا الشكل، فإنّ نظام اللغة بطبعه سيكون حرًا من أي مثير؛ لأنه نظام في نفسه مستقل عن النظم الأخرى في الدماغ، ومستعد بشكل إرادي لأي نشاط يقرره متكلم اللغة. ويمكن، كذلك، دعم فرضية أن اللغة استعمال حر من جميع المثيرات بالاستفادة من النموذج الذي قدّمه فودور (1983: 41–43، 86، وانظر حداد 1995: 81–82) عن الجهاز المعرفي البشري وفيه يفترض أن هذا الجهاز يحوي ثلاثة أنماط من المكونات:



هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

(أ) اللواقط transducers و (ب) القوالب input systems و (جـ) الوحدة المركزية (أو نسق تثبيت الاعتقاد) central systems. فالقوالب تعمل على مد اللواقط بمدخلات تكون مخرجات لها. فمثلا، في مجال الرؤية، يستقبل قالب الرؤية نسق الموجات الضوئية فيحولها، بعد أن تصطدم بشبكة العين، إلى تمثيل. وعندما تكون هذه الموجات الضوئية التي استقبلها من اللاقط الحسي تمثيلًا لوجه شخص، فإنه يرسلها إلى الوحدة المركزية؛ لتوافق عمليات تثبيت الاعتقاد فتصبح تمثيلًا تصوريًا لوجه ذلك الشخص. والشيء نفسه يمكن أن يقال عن القوالب الأخرى كالسمع واللمس والذوق واللغة. فجميع هذه القوالب تنقل المعلومات حول العالم الخارجي إلى الوحدة المركزية؛ لتصل إلى نتيجة مدركة بخصوص المنقول (نسق تثبيت الاعتقاد). والمهم هنا، أن هذه القوالب بما فيها قالب اللغة تتقاسم مجموعة من الخصائص المميزة لها، ومن أبرز هذه الخصائص أنها ذات مجال واضح ومحدد بحيث يكون لكل قالب قاعدة من المعطيات تخصه وحده، ومجموعة من المبادئ الحوسبية التي توجه معالجته للمعلومات وفق كيفية إجبارية وآلية سريعة.

وفيما يتعلق بالسمة الثانية للمظهر الإبداعي للغة التي تخص سمة الإنتاجية غير المحدودة والتجديد المستمر في الاستعمال العادي للغة، فإنه يمكن تفسيرها انطلاقًا من القوة التوليدية للملكة اللغوية؛ إذ هي في طابعها الفطري نظام إنتاجي توليدي تكراري يولد مجموعة لا متناهية من العبارات اللغوية في صورة من مجموعة متناهية من العناصر. وهذا يعيدنا إلى كلام هامبلدت حول وجود نظام من القواعد التوليدية erzeugen ينظم عمل الملكة اللغوية، ويشكل أرضية التعبير عنها. لكن الجديد في البرنامج الأدنوي هو حصر القدرة التوليدية في المعجم الذي أصبح دوره محوريًا في كونه قوة توليدية اشتقاقية، ومعين لا ينضب يستمد منه النظام الحوسبي وحداته المعجمية التي يستعملها لتوليد الجمل بمساعدة المكون النحوي (الإعرابي) الذي هو، بالنسبة للنظام الحوسبي، المكون التوليدي الأساسي. وأبرز خصائص هذا المعجم هي خاصية البناء constructing الذي هو "إجراء لآلية يكون بها توليد الوحدة المعجمية توليدًا آنيًّا أو آن-قوليًّا أي زمن إنتاج القول..." (الزناد 2010: 84). والمعجم بوصفه مكونًا أساسيًا من مكونات الملكة مصمم بطريقة استحضارية حوسبية، ويحتوي على جملة من الوحدات محفوظة في الذهن مكتملة عدًّا ونوعًا،


هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

خصائصها مثبتة مسجلة وهي جاهزة لتنتقَى حسب الحاجة، وتعالج من قبل متكلم سويّ في وقت سريع جدًا أثناء إنتاج الخطاب وأثناء محاولة فهمه (المرجع السابق). ومن هنا نجد أن خاصيتي التوليد والبناء في المعجم تقدمان لنا تفسيرًا بموجبه نستطيع أن نفهم سر أنّ الاستعمال السَّوي للغة استعمالٌ مبدِع على الدوام ؛ لأنه متجدد وغير متناه. كما تذهب الدراسات التوليدية–الإدراكية في تفسير الطاقة التوليديّة للغة البشريّة وعدم محدوديتها إلى خصيصتها التوليفيّة combinatoriality التي تساعد الدماغ البشري؛ نظرًا لمحدوديته، في توليد وحفظ ذلك العدد اللانهائي من عبارات اللغة وفهمها عبر المعجم الذهني الذي يمثل مادة التوليف وأدواته وعبر النحو الذهني mental grammar الذي يمثل قواعد التوليف بكل صورها وتعقيداتها (ينظر جاكندوف 2002: الفصل 3). وهذا، ربما، ما قصده بنكر (1994: 84) حين عدَّ النحو نظامًا (توليفيًا) متمايزًا discrete combinatorial system، وليس نظامًا (تكراريًا) ضمنيًا recursive-embedding system فحسب. والنحو في هذا النظام التوليفي المتمايز، وفقًا لبنكر (ص 334)، «يجعل اللغة الإنسانية غير نهائية (فليس هناك حد لعدد الكلمات المعقدة أو الجمل في اللغة)، وهي رقْمية (في تحقيق هذه النهائية من خلال إعادة صياغة العناصر المتمايزة بترتيب مختلف وتوليف معين [...]، وهي توليفية (في أن لكل واحدة من التوليفات اللانهائية معنى مختلفًا يمكن التنبؤ به من معاني أجزائه والقواعد أو المبادئ التي تستخدم في صياغته)»[٢١].

وفي البرنامج الأدنوي، أصبح التوليف يسلك أسهل الطرق في بناء الاشتقاقات التركيبية عبر العملية الحوسبية «ضم» Merge. وتعد عملية ضم، التي تتلو في الاشتقاق مباشرة عمليةَ الانتقاء من المعجم، أساسَ علميات نظام النسق الحوسبي (ينظر هامش 18)، وبها، لا بسواها، يتم التوليف بين عنصرين معجميين «بنيا سلفًا: أ، ب؛ وتخلق عنصرًا جديدًا مكونًا من العنصرين السالفين [أ، ب]» (تشومسكي 2013: 58 تر: م. الرحالي). وتكرر عملية الضم وفق ما يتطلبه النظام التكراري للملكة اللغوية؛ لتخلق ما لا يحد من العبارات والجمل بشكل حوسبي بسيط.

وأخيرًا، يمكن لنا أدنويًا تفسير السمة الثالثة: سمة الملاءمة للظروف والمقامات التي يمتاز بها المظهر الإبداعي للغة من خلال درس التكوين البيولوجي للعلاقة بين اللغة وذلك الجزء من الدماغ المسؤول عن إنتاجها. فمن الناحية البيولوجية، جميع


هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

عمليات الملكة اللغوية مصممة لتنتج تمثيلات محددة مهمتها تحقيق أغراض تواصلية في المستوى الوجاهي[٢٢] بين الصوت والمعنى. فمثلًا، عند إرادة البشر استعمال اللغة للحديث أو الإشارة، فإن النظام الداخلي لملكة اللغة يجب أن يكون قادرًا على تحقيق الشروط الوجاهية interface conditions التي يفرضها النظام النطقي الإدراكي (وهو ما تتحول به التمثيلات النطقية إلى أصوات) والنظام التصوري القصدي (وهو ما يكون فيه تأويل الأبنية إلى مفاهيم)، وإلا تعذر الحديث والإشارة ومن ثم تعذر السماع والرؤية، ومن هنا تنتفي الملاءمة والانسجام والقدرة على إثارة الأفكار الملائمة لدى السامع (ينظر ميجلفيري 2002: 21، وانظر 2001، 2005). ويمكن تأكيد ذلك، عمليًا، من خلال ملاحظة أن الناس يفترضون أن خطاب محاوريهم ذو صلة ومتماسك وملائم لظروف التكلم. بل إنهم عندما يتعذر عليهم ذلك، يبحثون عن تأويل يجعل الخطاب ذا صلة ومتماسكًا ومناسبًا. وهذا يدل، من بين ما يدل، على أن نظام الملكة مصمم بيولوجيًا لتحقيق مستوى التناسب بينها وبين الأنساق الذهنية الأخرى التي تتفاعل معها في المستوى الوجاهي، لاسيما أنظمة الفكر والنطق. من هنا، تصبح اللّغة، وفقَ النظرة الأدنوية-الإدراكية، لا وجود لها خارج تمثّلاتها الذهنيّة.

## 5. الخاتمة

لقد حاول البحث أن يقدم تفسيرًا أدنويًا وإدراكيًا للمظهر الإبداعي للغة ودوره المحوري في تكوين وتفاعل نظامي الملكة اللغة: الإدراكي والإنجازي. كما كشف البحث عن أهمية هذا المظهر بوصفه مرتكزًا أساسيًا من مرتكزات النظرية التوليدية؛ لأنه يسهم في تقديم إجابات مبرهنة عن مدى إسهام اللغة في فهم الطبيعة البشرية، والقدرة المعرفية وطريقة تكوين نظامها في العقل/ الدماغ، وكيفية استعماله. ومن هنا، تصبح نتائج أي نظرية لغوية تغفل دراسة هذا المظهر محل نظر، أو برمتها بلا جدوى؛ لأنّ في نفيها هذا المكون الإبداعي، تقويضٌ لحقيقة أن اللغة هي المصدر الأساسي لكيفية اكتساب الكائن البشري المعرفة، فضلًا عن كونه خاصية أساسية من خصائص الطبيعة البشرية.

وقد أوضح البحث كيف أن النحو التوليدي في بداياته لم يقدم لنا سوى وصف لهذا المظهر، وفشل في تقديم تفسير لآلية عمله وتفاعله مع الأنساق المعرفية الأخرى


هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

في الدماغ. لكنه في نموذجه الأدنوي، ساعد على تقديم تفسير للسمات الثلاث لهذا المظهر أدى إلى فهم نوع من أنواع الذكاء الإنساني يتمثل في الاستعمال العادي للغة الذي ينتج أشكالاً لغوية جديدة ومبتكرة لا حدود لها، ليس في كلام المتكلم فحسب، بل ربما في تاريخ اللغة. كما ساعد، أيضًا، على فهم الضرورة البيولوجية للمعرفة في كونها فطرية؛ إذ ملاءمة هذا المظهر للمقامات التي يستخدم فيها؛ برهان قوي على أننا نصل إلى «المعرفة عندما تتكيف الأفكار الداخلية للفكر نفسه مع البنيات التي يبدعها هذا الفكر» (الطيب 1997: 48). يضاف إلى ذلك أن سمة هذا المظهر الإنتاجية غير المحدودة والمتجددة، هي أيضًا ذات طابع فطري بيولوجي يستمد نظامَه الإنتاجي التوليدي، الذي يولد من وسائل متناهية مجموعة لا متناهية من العبارات اللغوية، من المعجم بوصفه القوة التوليدية الاشتقاقية لنظام ملكة اللغة المصمم بطريقة توليفيّة؛ لتساعد الدماغ البشري في توليد وحفظ ذلك العدد اللانهائي من تلك العبارات وفهمها.

ويأتي الدور المهم لهذا المظهر في الانتصار للنظرية التوليدية في مقابل النظرية السلوكية التي ترى أن تفسير القدرة المعرفية، بما فيها اللغة، خاضع فقط للمدرك والملاحظ، وتنكر أي دور للعقل أو الذهن أو الأفكار الفطرية في تفسيرها (ينظر هامش 6). فاقتراح تفسير أدنوي-إدراكي للسمة الأولى لهذا المظهر، التي تؤكد أنه استعمال حر- ينفي عن اللغة تأثرها بأي مثير خارجي أو داخلي؛ لأن النظام الحوسبي الاشتقاقي للملكة اللغوية عبارةٌ عن نظام خوارزمي يولد الجمل النحوية المقبولة، فضلًا عن أن الاستعمال الحر للغة في ذهن المتكلم يدلل على أن النظم التفاعلية المكونة للذهن/ الدماغ (كالرؤية، والسمع، واللغة) هي ذات علاقة وجاهية تسمح لتلك النظم بالاتصال فيما بينها وتبادل المعلومات بطرق متنوعة، وهذا يعكس نظامَها الحر في ذاتها واستقلاليتها عن أي مثير داخلي أو خارجي. وتتمايز اللغة، بوصفها مرآة للفكر، عن تلك النظم الإدراكية في إنتاجها نظامَ المعرفة، بينما تلك النظم هي نظم معالجة processing فحسب.

ومما يود البحث لفت النظر إليه، أخيرًا، وإن لم يكن نتيجةً لها مساس وثيق بأهداف البحث، هو أن النحو التوليدي نحا منحى يختلف عن النظريات اللسانية الغربية السائدة إبان بدايات القرن العشرين. في حين نأت تلك النظريات بنفسها عن


هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

مخرجات النظريات اللسانية السابقة لها، وأعلنت قطيعة معها، فإن النحو التوليدي كان يؤسس فرضياته عليها في تحليل ونقاش كثير من الرؤى الفلسفية حول طبيعة اللغة البشرية وفي مقدمتها قضية "المظهر الإبداعي للغة" كما وضِّح في المبحثين الثاني والثالث عند الحديث عن دور آراء أفلاطون وأقطاب الفكر الفلسفي الأوروبي الحديث في رسم معالم الخلفية الفلسفية للنظرية التوليدية. لقد كان مصيرُ تلك النظريات التي استقلت بنفسها، ورأت الجدوى في القطيعة مع النظريات السابقة لها-النبذَ والنسيانَ وربما الازدراء، كما عبر عن ذلك تشومسكي في مقدمة كتابه "اللسانيات الديكارتية" (2002: 49). في المقابل، بقيت وصمدت تلك النظريات التي جعلت من التراث وأسئلته منطلقًا لنقاشاتها الجديدة حول اللغة؛ وتأتي النظرية التوليدية، بالطبع، في مقدمة تلك النظريات. نذكر ذلك هنا؛ حتى يعرف اللغويون العرب المعاصرون، ممن دعوا للقطيعة مع التراث اللغوي العربي، أن تأسيس فكر لغوي جديد مستقل لا يتم إلا من خلال مراجعة فهم للتراث اللغوي واستيعابه واحتوائه، ومن ثم البناء على مخرجاته ونتائجه، لا سيما إذا كان ذلك التراث عميقًا في أفكاره، وممتدًا في جذوره، وحاضرًا في تأثيره.

## الهوامش

* - أودُّ هنا، ابتداءً، أن أتقدم بالشكر والعرفان لجامعتي، جامعة القصيم، لدعمها البحث العلمي، وتشجيع أعضاء هيئة التدريس بالجامعة على مواكبة المعرفة والإسهام فيها. كما يسعدني أن أتقدم بالشكر الجزيل للصديق د. فهد راشد المطيري الذي تفضل بقراءة البحث في مسودته الأولى وأفادني كعادته بتعليقات وملحوظات قيمة وفاحصة ساهمت كثيرًا في تعميق أفكار البحث ووضوحها. كذلك أتقدم بالشكر إلى الزملاء الذين أفادوني بكثير من الأفكار في نقاشي معهم في حلقات القسم العلمية. كما لا يفوتني أن أقدم عظيم الشكر والامتنان للفاحصَين الكريمين اللذين تفضلا بقراءة البحث ونقده بملحوظات أفدت من أكثرها. كما لا أنسى الصديق الأستاذ أحمد الكريديس، الذي رغم انشغاله، كان رافدًا مهمًا لي عندما كنتُ أحتاج إلى مرجع علمي يتعذر علي الوصول إليه، فله مني جزيل الشكر وعظيم الامتنان. وأخيرًا، أتقدم بجزيل الشكر لهيئة التحرير بمجلة (اللسانيات العربية) على


هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

المهنية العالية في إجراءات التحكيم، والتواصل السريع مع الباحثين خلال مراحل التحكيم المختلفة. والشكر موصول لمركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية على تفعيله بيئة البحث اللساني في الوطن العربي من خلال جهوده المشهودة العديدة التي يأتي من أبرزها إصدار هذه المجلة العلمية الرصينة.

د. ناصر فرحان الحريّص، أستاذ اللسانيات والنحو التوليدي المشارك في جامعة القصيم-المملكة العربية السعودية

Email: nasser.alhorais@gmail.com

1 – جميع المعلومات التفصيلية عن الإحالات المرجعية على أعمال تشومسكي سيجدها القارئ في المراجع الإنجليزية، إلا إذا نص على أنها عمل مترجم؛ فسيجدها، بالطبع، في المراجع العربية.

2 – وهي دراسات في جلها تنتقي مبادئ وتعميمات الدرس التوليدي واختيار بعض الظواهر المناسبة لتمثيلها، وهي ليست بالعميقة إذا ما قورنت بما ينجز في الأدبيات التوليدية الغربية التي تواكب النظرية في تطورها، وفي الوقت نفسه، توظف المعارف العلمية الأخرى لخدمتها. حول دراسة ونقد تلك الدراسات، ينظر علوي (2008).

3 – يمكن أن نلخص مشكل أفلاطون في أن المعرفة كامنة في النفس بشكل فطري، لكنها تحتاج فقط إلى مجهود التذكر والاستثارة، وقد صاغها الفيلسوف البريطاني برتراند راسل (1948 : 5) Bertrand Russell في السؤال التالي: «كيف يمكن لأفراد النوع البشري أن يَعرفوا ما يَعرفونه على الرغم من قِصَر تجربتهم مع الكون ومحدوديتها»؟ وإذا ما رمنا أن نقدم شرحًا لمشكل أفلاطون من منظور علمي معرفي يستمد تحديده من معطيات العلوم الطبيعية، فإنه يمكن القول أن هذا الكم الهائل من المعارف الذي نعرفه على الرغم من محدودية التجارب وقصر العمر، يعود إلى أننا نولد ونحن مزودون بيولوجيًا بالمعرفة؛ وعليه فإن تأويلنا للتجارب وفهمنا للمعارف محدد بخصائصنا الذهنية التي نصل من خلالها للمعرفة (ينظر الطيب 1997 : 48).

4 – سيعتمد البحث على الطبعة الثانية (2002) من كتاب تشومسكي: اللسانيات الديكارتية الذي كانت طبعته الأولى سنة 1966 ونشرته دار Harper and Row في نيويورك.



هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

5 – لمصطلح Universal Grammar ترجمات عديدة. يترجمه بعض اللسانيين العرب ترجمة حرفية بـ"النحو العالمي" كما فعل مازن الوعر (1999)، ويترجمه ميشال زكريا (1986: 77) بـ"القواعد الكلية" وتبعه مرتضى باقر (2002: 49). وقد اختارت فائقة الصادقي (2007: 1) ترجمة ثالثة حين ترجمته بـ"القواعد العامة"، لكن اللساني البارز عبدالقادر الفاسي الفهري (2000: 1/ 43) فضل ترجمته بـ"النحو الكلي" وهو، في نظري، الأقرب لمفهوم المصطلح؛ ولذا اعتُمد في البحث.

6 – هكذا تنظر المدرسة السلوكية في اللغة التي أسسها بلومفيلد Bloomfield (1933) إلى اللغة الإنسانية. فاللغة لا تعدو اللغة، في نظرهم، أن تكون مجرد (عادات كلامية مكتسبة) خاضعة لما يسمى بـ«قانون الإشراط». ومن هنا، تصبح اللغة عندهم شكلا من أشكال السلوك الإنساني كالأكل والنوم. بل وأبعد من ذلك تعتبر هذه النظرية السلوك اللغوي للإنسان شبيهًا بالسلوك الحيواني، فكلاهما سلوك آلي ميكانيكي خاضع لثنائية: المثير والاستجابة. وقد لخص ميشال زكريا (1983: 73) تعريف اللغة من وجهة نظر السلوكيين بأنها «مجموعة عادات صوتية يكفيها حافز البيئة، فلا تتعدى برأيهم، كونها شكلا من أشكال الحافز»، والاستجابة لهذا الحافز تتكون عندما يسمع متكلم اللغة «جملة معينة أو يشعر بشعور معين، فتحصل عنده استجابة كلامية من دون أن ترتبط هذه الاستجابة بأي شكل من أشكال التفكير. فالاستجابة الكلامية مرتبطة بصورة مباشرة بالحافز، ولا تتطلب تدخل الأفكار أو القواعد النحوية». وقد طعن تشومسكي (1959) في مفهوم العادة نفسه، وبيّن أنّ مفهومي المثير والاستجابة هما مفهومان أجوفان؛ فنحن لا نستعمل اللغة استجابة لمثيرٍ سلوكي محددٍ وواضح.

7 – يبني ديكارت فلسفته هذه على إشكاليته حول الروح والجسد التي تستند إلى التسليم بأن الإنسان يملك روحًا إلى جانب امتلاكه جسدًا. يُؤسس الأول من خلال مبدأ "الإبداعية" وترصده مفاهيم علم النفس، بينما يُؤسس الثاني من خلال مبدأ "الميكانيكية" وترصده مفاهيم الفيزياء. ينظر لمزيد من الشرح حول هذه الإشكالية، حداد (1995، الفصل الثاني).

8 – لمزيد تفصيل حول رؤية كوردموي لطبيعة اللغة الإنسانية وخاصة مظهرها الإبداعي، ينظر تشومسكي (2002: 61 وما بعدها)، آبلندي Ablondi (2005)، لوزان Lauzon (2017).


هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

9 – يراد هنا بالوسائل المحدودة أن اللغة محدودة في كلماتها وأنظمتها لكنها كالعقل الذي يحويها (والمحدود أيضًا)– قادرة على القيام بنشاطات غير محدودة. وفي توضيح ذلك تشبيهًا، يقول ميشال زكريا (1986: 31): "...فما علينا في سبيل ذلك إلا أن نشبه هذا الأمر بالفنان أو العازف على الآلة الموسيقية الذي يستطيع بعزفه (نوتات) معينة، أن ينتج الألحان المتجددة التي تعبر عن مشاعره وأحاسيسه، والمسار نفسه نلاحظه عند كل إنسان قد اكتسب قواعد الحساب، فيمكنه استنادًا إلى هذه القواعد المحدودة أن يؤدي عمليات حسابية متنوعة جدًا [وغير متناهية]".

10 – نبهني د. فهد المطيري، مشكورًا، إلى أن تشومسكي ربما استعار مصطلح (التوليد)، أيضًا، من فيلسوف القرن السادس عشر الطبيب الإسباني خوان هيوارت Juan Huarte، الذي مر ذكره في بداية المبحث الثالث. وبالفعل هناك ما يوحي بذلك في كتابه اللسانيات الديكارتية (2002: 108) عندما ذكر حديث هيوارت عن جذر الكلمة الإسبانية Engenio التي تعني (ولَّد). ومع أخذ ذلك في الاعتبار، يبقى ترجيح أخذه مصطلح (التوليد) من هامبلدت هو الأقرب في نظري؛ وذلك لاتفاقه مع المعنى الذي يريده من (النحو التوليدي) كما صرح بذلك، هو أيضًا، في الكتاب نفسه (ص 116، هامش 39).

11 – يفرق تشومسكي في كتابه الذي صدر عام 1975م: (تأملات في اللغة) وبالتحديد في الفصل الرابع منه بين القضايا التي تنشأ غالبًا في دراسة اللغة والعقل مصنفًا إياها إلى مشاكل وأسرار، ويجعل دراسة المقدرة اللغوية واكتساب اللغة من تلك المشاكل التي تحتاج إلى إيجاد الحلول لفهمها، بينما دراسة الأداء اللغوي والمظهر الإبداعي للغة من أبرز تلك الأسرار والألغاز التي يتعذر على دارس اللغة أن يعطي فرضية مقبولة حول حقيقتها؛ لكونها خارج حدود قدراتنا الإدراكية التي يتعذر عليها تفسير كيف أن الملكة اللغوية مزودة بجهاز (جيني) يسمح لها أن تنتج استعمالات غير متناهية من وسائل متناهية.

12 – يشير تشومسكي في حديثه عن المقدرة اللغوية إلى مفهوم "اللغة الداخلية" I-Language الذي يؤكد من خلاله على فكرة المفكر يسبرسن Jespersen في أن هناك فكرة ما عن البنية في عقل المتكلم توجهه في صياغة جمل لغته، وخاصة


هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

التعبيرات الحرة free expressions. هذه اللغة الداخلية عبارة عن بنية داخلية تشكل عنصرًا من عناصر عقل متكلم اللغة، يكتسبه المتعلم ويستخدمه المتكلم–المستمع المثالي the speaker-hearer وهي مكون أساس من مكونات النحو الكلي. في المقابل، يطلق تشومسكي مصطلح اللغة الخارجية E-Language على اللغة المعينة كالإنجليزية والعربية والفرنسية...الخ (ينظر تشومسكي 1993: 80–81، تر: م. فتيح).

13 – هذا فضلًا عن أن الأداء لا يعكس كامل المقدرة اللغوية لدى متكلم اللغة؛ إذ قد توجهه ظروف وعوامل غير لغوية، من مثل المقام والظروف التي ينجز فيها القول، والحالة النفسية للمتكلم وما يعتريه من نسيان وإعياء، وكذلك التفاوت الحاصل في المستوى الثقافي للأفراد (تشومسكي 1970: 13).

14 – والمظهر الإبداعي للغة أدعى المظاهر اللغوية في تحقيق الكفاية التفسيرية؛ لارتباطه بالخصائص العامة المشتركة بين اللغات البشرية التي يسعى النحو الكلي لتقديم تفسير لها، وإلا أصبح نظرية بلا جدوى.

15 – يرى تشومسكي (1990: 202، تر: ح. المزيني) أن النظرية التي لا تقدم تفسيرًا مصيرها النبذ. يقول مقارنًا بين مشروعي ديكارت ونيوتن: "وقد كان الفارِق الرئيسُ بين مشروع ديكارت ومشروع نيوتن أنَّ مشروع نيوتن قدَّم نظريةً تفسيرية حقيقية لسلوك الأجساد، في الحين الذي لم تقدِّم فيه النظريةُ الديكارتية أي تفسير مُرْض لبعض الخصائص كالمظهر الإبداعي لاستعمال اللغة وهو الذي يقع خارج مجال التفسير الآلي في النظرة الديكارتية. لذلك أصبحت تصورات نيوتن أساسَ (البديهة العلمية) للأجيال التالية من العلماء أما التصورات الديكارتية فكان مصيرها النَّبْذ".

16 – ومن هنا، نجد تشومسكي (1995: 4) يؤكد على وصف النحو التوليدي بأنه مزيج من أفكار سابقة حول اللغة والفكر، وفي الوقت نفسه، فهم جديد لهما وفرته العلوم الطبيعية.

17 – ينسب هذا الأسلوب إلى عالم الفيزياء الإيطالي غاليلو غاليلي (1564–1642م). حول دور هذا الأسلوب في اللسانيات بشكل عام، ينظر بوتا Botha (1982)، وعن دوره في النحو التوليدي بشكل خاص ينظر علوي والملاخ (2009).


هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

18 – على سبيل المثال، من خصائص الاسم ترميزُ السمات الصرفية مثل الجنس والعدد أو الشخص، وبما أن هذه السمات من السهل التنبؤ بها انطلاقا من الطبيعة المقولية للأسماء [+س]، فإننا لا نحتاج إلى التنصيص عليها، على عكس الوحدات المعجمية الاسمية التي تحمل سمة اسمية فرادية مثل إبل وقوم التي تحمل سمة الجمع بشكل فرادي، ومن هنا لا يمكن التنبؤ بها من الصورة اللفظية للكلمة (ينظر غلفان 2010: 367).

19 – ومن هنا، يصبح التمييز بين تمثيل عميق للبنية، وآخر سطحي، كما كان عليه الحال قبل البرنامج الأدنوي، مخلًّا بشروط المقروئية legibility في مستوى الوجاهة interfaces مع الأنساق الأخرى (ينظر تشومسكي 1995: 219).

20 – وهذه العمليات هي على الترتيب: انتق Select، ضم Merge طابق Agree، انقل Move. وبعد تمام هذه العمليات، يفضي النسق الحوسبي إلى "التهجية Spell-out" التي بها تخرج الجملة منطوقة في "الصورة الصوتية"، ومكتسبة الدلالة في "الصورة المنطقية" (تشومسكي 1995: 27، 219–20). للمزيد حول آلية عمل اشتقاق الجملة في البرنامج الأدنوي على تطبيقات من نحو اللغة العربية، ينظر، على سبيل المثال، المكي (2009)، والفاسي الفهري (2010)، وغلفان (2010)، والحريص (2014).

21 – استفيد في ترجمة كلام بنكر هنا مع شيء من التصرف، من ترجمة حمزة المزيني لكتابه: الغريزة اللغوية: كيف يبدع العقل اللغة (2000: 423). ينظر قائمة المراجع العربية.

22 – المستوى الوجاهي من أبرز الأدوات التمثيلية التي يقوم عليها النظام الحوسبي في البرنامج الأدنوي، وهو عبارة عن علاقة بين مكونين يكون بموجبها تأويل عنصر أو عناصر من المكون الواحد إلى عنصر أو عناصر من المكون الآخر (ينظر الزناد 2010: 55).


هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

## مراجع البحث

### المراجع العربية


- باقر، مرتضى جواد. (2002). مقدمة في نظرية القواعد التوليدية. عَمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.
- بنكر، ستيفن. (2000). الغريزة اللغوية: كيف يبدع العقل اللغة. ترجمة: حمزة المزيني. الرياض: دار المريخ.
- تشومسكي، نعوم. (1990). اللغة ومشكلات المعرفة: محاضرات ما ناجوا. ترجمة: حمزة قبلان المزيني. الدار البيضاء: دار توبقال.
- _____ .(1992). اللغة والفكر. ترجمة: وليد السراقبي. مجلة الآداب الأجنبية (سوريا)، العدد 72، 73، ص 9-29.
- _____. (1993). المعرفة اللغوية: طبيعتها وأصولها واستخدامها، ترجمة وتعليق وتقديم: محمد فتيح. القاهرة: دار الفكر العربي.
- _____. (2013). اللسانيات التوليدية: من التفسير إلى ما وراء التفسير. ترجمة وتقديم محمد الرحالي. بيروت: دار الكتاب الجديد.
- الحداد، مصطفى. (1995). اللغة والفكر وفلسفة الذهن. تطوان: منشورات جمعية الأعمال الاجتماعية والثقافية كلية الآداب (سلسلة دراسات).
- الحريص، ناصر. (2014). الخاصية النظامية للغة ودورها في فهم كيف يبدع العقلُ اللغةَ. مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، مج 7، ع 3، ص ص: 883-940.
- ديكارت، رنيه. (1968). مقال عن المنهج. ترجمة: محمود محمد الخضيري، راجعها وقدم لها محمد مصطفى حلمي. القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.
- زكريا، ميشال. (1983). الألسنية (علم اللغة الحديث)، المبادئ والأعلام. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.




هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

• _____. (1986). الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية). بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

- الزناد، الأزهر. (2010). نظريات لسانية عرفانية. تونس: دار محمد علي للنشر.
- الصادقي، فائقة. (2007). نظرية تشومسكي في القواعد العامة: مقدمة للقارئ العربي. متاح على الرابط التالي:

http://vb.arabsgate.com/showthread.php?t=471466

- بتاريخ 21/ 7/ 2017م.
- الطيب، بنكيران احمد. (1997). الخلفية الفلسفية في النظرية التوليدية. مجلة عالم الفكر، المجلد 25، العدد 3، يناير/ مارس، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. ص 45–56.
- علوي، حافظ إسماعيلي. (2008). اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة. مجلة عالم الفكر، المجلد 37، العدد 1، يوليو/ سبتمبر، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. ص145–192.
- علوي، حافظ إسماعيلي؛ الملاخ، احمد. (2009). قضايا إبستمولوجية في اللسانيات. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون – منشورات الاختلاف.
- غلفان، مصطفى. (2010). اللسانيات التوليدية: من النموذج المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة. بمشاركة احمد الملاخ وحافظ علوي. إربد (الأردن): عالم الكتب الحديث.
- الفاسي الفهري، عبدالقادر. (2000). اللسانيات و اللغة العربية: نماذج تركيبية ودلالية. الدار البيضاء: دار توبقال.

• _____. (2010). ذرات اللغة العربية وهندستها: دراسة استكشافية أدنوية. بيروت: دار الكتاب الجديد.

- المكي، سمية. (2009). مظاهر اللاتناسق في النظرية التوليدية. مجلة موارد– كلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة، جامعة الوسط (تونس)، ع 14، ص 101–127.



هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

الوعر، مازن. (1999). جملة الشرط عند النحاة والأصوليين العرب في ضوء النحو العالمي لتشومسكي. القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان.

**المراجع الإنجليزية**


- **Ablondi**, F. 2005. Gerauld de Cordemoy. Atomist, Occasionalist, Cartesian. Milwaukee: Marquette University Press.
- **Botha**, R. (1982). On the 'Galilean style' of linguistic inquiry. Lingua 58:1-50.
- **Bloomfield**, L. .(1933) Language. New York :Henry Holt.
- **Chomsky**, N. (1959). «A Review of B. F. Skinner's Verbal Behavior» in Language, 35, No. 1, 26-58.
- _____. (1964). Current issues in linguistic theory, in J.A. Fodor & J.J. Katz (dir.), The structure of language, Readings in the philosophy of language Englewood Cliffs, Prentice Hall, 51-118.
- _____. (1965). Aspects of the theory of syntax. Cambridge, MA: MIT Press.
- _____. (1967)."The Formal Nature of Language." In Biological Foundations of Language, edited by E.H. Lenneberg, 397-442. New York: Wiley and Sons.
- _____. .)1970(Remarks on nominalization .In :Jacobs Rosenbaum) eds :(Readings in English Transformational Grammar .Ginn ,Waltham ,Mass.221 -184.
- _____. (1972). Language and Mind. New York: Harcourt Brace Jovanovitch.
- _____. (1975). Reflections on language. New York: Parthenon Press.



هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

- _____.1980. Rules and representations. New York, NY: Columbia University
- Press.
- _____. (1982). A Note on the Creative Aspect of Language Use. Philosophical Review 91 (3):423-434
- _____. (1995). A Minimalist Program for Linguistic Theory. The Minimalist Program. Cambridge, Mass: MIT Press. 167–217.
- _____. (2001). Beyond Explanatory Adequacy. MIT Occasional Papers in Linguistics 20. Cambridge, MA: MITWPL. 1-28. [Reprinted in: Belletti, Adriana (ed.) (2004): Structures and Beyond. The Cartography of Syntactic Structures, vol. 2.Oxford: Oxford University Press. 104-131].
- _____. (2002). Cartesian Linguistics: A Chapter in the History of Rationalist Thought. 2nd ed., Cybereditions Corporation, edited, with an Introduction, by James McGilvray. Cambridge: Cambridge University Press [First published 1966 by Harper and Row, New York].
- **Cordemoy**, Géraud de. [1668] (1972). A Philosophical Discourse Concerning Speech. Delmar, New York: Scholars' Facsimiles & Reprints
- **Das Gupta**, A. (1999). Descartes and Chomsky: An Interface Between Language and Mind. Indian Philosophical Quarterly, 26, No. 1, s. 125-147.
- **Drach**, M. (1981). 'The Creative Aspect of Chomsky's Use of the Notion of Creativity', Philosophical Review 90, 44-65.




هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

- **Fodor**, J. A. (1983). The Modularity of Mind, Cambridge, MA: MIT Press.
- **Humboldt**, Wilhelm von .[1836] (1999). On language: On the Diversity of Human Language Construction and its Influence on the Mental Development of the Human Species, trans. Peter Heath and ed. Michael Losonsky, Cambridge: Cambridge University Press.
- **Jackendoff**, R. (1997). The Architecture of the Language Faculty, MIT Press, Cambridge, MA.
- _____.(2002).Foundations of Language: Brain, Meaning, Grammar, Evolution. Oxford: Oxford University Press.
- **Lauzon**, M. (2017). Géraud de Cordemoy. In: Cameron M., Hill B., Stainton R. (eds,) Sourcebook in the History of Philosophy of Language. Springer Graduate Texts in Philosophy, vol. 2. Springer, Cham.
- **McGilvray**, J. (2001). Chomsky on the creative aspect of language use and its implications for lexical semantics studies. In Federica Busa & Pierrette Bouillon (eds.), The Language of Word Meaning, 5–27. Cambridge: Cambridge University Press.
- _____. (2002). Introduction to Chomsky's book: Cartesian Linguistics: A Chapter in the History of Rationalist Thought, . 2nd ed., Cybereditions Corporation, edited, with an Introduction, by James McGilvray. Cambridge: Cambridge University Press.




هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

- _____. (2005). Meaning and creativity. In James McGilvray (ed.), The Cambridge Companion to Chomsky, 204–222. Cambridge: Cambridge University Press.
- **Pinker**, S. (1994). The language instinct. William Morrow, New York, NY.
- **Russell**, B. (1948). Human Knowledge: Its Scope and Limits, London: Routledge.
- **Taylor**, J. J. (1993). Cognitive modules, creativity and choice: Mysteries in Chomsky's solution to the problem of creativity. Ph.D. Thesis, Washington University, USA.
- **Wade**, M. (1995). Connections Between Noam Chomsky's Linguistic and Political Theories. M.A. Dissertation, Dalhousie University.




هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً